

على هامش

اصحح في طريقك صوفية

الأستاذ محمد علي الطعنى

واعظ مركز نجع حمادى

منقطع النظير فى الأوساط العلمية
والأدبية ، والتي كان لها مجهود مشكور
لمى أكبر شاهده على عبقرية الشيخ ونضوجه
الفكرى والعلمى والإصلاحى .

ولا ننسى أبناء الطرق فى مختلف
البلاد — فانهم يحمدون اسمائه
رعايته وعنايته وسهره المتواصل فى
سبيل تحقيق أمنيته وأمنيتهم التي
تهدف إلى العلو والسمو والتطهير .

وانه لمن حسن الطالع ، وجميل
الصدف ، أن يكون لإصلاح الطرق
الصوفية فى عهد الثورة المباركة التي
فتحت القرائح وفتقت الأذهان ،
ونادت بالعمل المثمر المنتج الصاعد
فى جميع مرافق الحياة ، وفى الوقت
نفسه قضت على كل ألوان الفساد
والاستبداد والخنوع والخضوع
لتكون الحرية لكل مواطن عربى ،
وتكون العزة لله ولرسوله وللعاملين ،
وذلك بفضل بطل العروبة ومحررها
الرئيس جمال عبد الناصر .

أخذت يد الإصلاح تتناول الطرق
الصوفية — وتشخص الداء وتضع
عليه الدواء ، فقد مضى عليها حين
من الدهر ، والزوابع والغشوات
ننتابها وتجم على صدرها ، وتكيد لها
كيدها حتى أوشكت أن تنهار إلى أن
قيض الله لها رجلا من رجالات الفكر
المستنيرين ، وصوفيا من الطراز الأول
وعلميا يزخر بالتقوى ويؤمن بالتقدم
ويرى العودة بالطريق إلى عهدها
الأول ضرورة يجب أن تكون لكيلا
يجد الغمازون والمهازون مندوحة للنقد
والتجريح ، فعلا قام سماحة السيد
الأستاذ محمد محمود علوان من أول
يوم اعتلى فيه مشيخة الطرق الصوفية
قام بدور إيجابى فعال ، فعقد المجتمعات
والندوات ، وفقش عن عيوب الطرق
ونادى فيها بالإصلاح الشامل السريع
الذى لا يعرف التعويق والستردد ،
وكان لقلبه رنين وهدف ، ولشهراته
ونصرحاته إعجاب ، وبجاة
الإسلام والتصوف التي لقيت ترحيبا

فالخير كل الخير للساكنين مقام
التصوف أن يصغوا للنداءات المتكررة
وأن يتجاوبوا مع هذه الموجة التحريرية
التي تهدف إلى التماسك والنهوض ونبذ
الخمول والخمود — فقد أصبحت
الحياة رحبة فسيحة مفيدة تدعو إلى
المسارعة والكفاح ، ونداءات مشيخة
التصوف تبتغي بها إصلاح الطرق
نفسها ليقوى جهازها وتصبح ريحانة
في جبين الزمان . ثم إن كلام الدكتور
مصطفى كمال وصفي الذي جاء تحت
عنوان إصلاح الطرق الصوفية بالعدد
السابق من هذه المجلة أعجبني جداً
وأحب أن أقتطف منه ما يلي :

« ليس من العار أن تكون في
بعض المعايير فأى الناس تصفو
مشاربه ؟ ولكن العار هو أن
تأخذنى العزة بالإثم ، وأن أنكبر
وأزعم أنني لا عيب في — مع أن
عيبى ظاهر يراه الكافة ، وربما كان
الشعور بالنقص هو أول درجات
الكمال والاشارة بالعيب هو أول
خطوات الاتجاه إلى الإصلاح ،
ولذلك فتشخيص الداء ضرورى
للإصلاح .. كلام قيم رصين ، فيه
تجارب يجب ألا نمر على رواد التصوف
مر الكرام ، ويجب أن نستلهم منها
الموعظة ونفتش في قرارة أنفسنا عن

العيوب المتأصلة المزمنة التي تحمل
الميكروب ، وعندما يحس الصوفي
بالنقص الخفي فيه يستطيع أن يتلافاه
وأن يكمله وعندئذ تبدأ مراحل
الكمال .

ويستطيع الدكتور المستشار
مصطفى وصفي أن يتوسع في موضوع
إصلاح الطرق الصوفية ، وأن يتكلم
فيه على المكشوف ، فلديه الخبرة
والتجربة والعارف لا يعرف ، وبذلك
يسدى خدمة جليلة للتصوف الإسلامى
الذى كثر فيه الدجاجة وطرق سبيله
الدخلاء الأغبياء حتى شوها رسمة
وضيعوا شكله وجعلوه جبهة متواكئة
رخوة تستحق الهجوم والتشنيع ..
والتصوف من هذا براء .. ؟

هذا الجنيد أستاذ تلك الطائفة يضع
دستوراً محدداً للتصوف يقول فيه :
« طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة »
ويقول « من لم يحفظ القرآن فليس
على طريقتنا ، فلو لم يكن دستور
للتصوف غير هذا لكنى . والمتفرس
المدقق في هذا البرنامج يجد أن أصول
الطرق وفروعها بنيت على ما ورد في
الكتاب والسنة ، ويجد أنها دوحه
وارفة نابعة من هذا الغدير الصافي
الرقراق ، المتدفق من ينابيع النورانية
العظمى .

وما لاشك فيه أن الدسوق علم من
أعلام التصوف ، ورجل ضرب يباع
وافر في ميادينه ، وكانت له شطحات
ونفحات .. أنظر إليه يقول :
« نحن قوم نطعم ولا نطعم ونعطى
ولا نعطى » .

وهذه حساسية تضرب الرقم القياسي
في عزة النفس ، والتعالى بالتصوف
إلى ساحة الكمال ، وجعله الطاعم
الكاسي .

ومع هذا نحن بصدد واحد هو
تخاربه الكسالى والنفعيين والأدعياء
الذين لا عمل لهم إلا طقطقة المسابح
وتوسيع الملابس ، وتزويق المظاهر
زاعمين أنهم من رجال الله الأخيار ،
وما دروا أنهم بهذا عطلوا ما أمر الله
به أن يكون من عمارة الأرض وتنمية
المال ، وتسخير المسخرات التي بها الله
في البر والبحر والجو ، وبذلك أصبح
الحياة خلواً من الكد والنشاط والحركة
خاراً من الكدح والسمج والثرق ،
وفي هذا بلاء مبين وامتنع
بنعم الله .

هزنى نملة في يوم ما ، فقد رأيتها

حاملة فتية من خبز على ظهرها أكبر
من جسمها ، ويبدو أنها أرهقتها
أثناء السير ، فكانت تضعها عن كاهلها
وتستريح ، ثم تستأنف حملها من جديد
حتى وصلت بها إلى مسكنها .

فالتل يسعى ويتحرك ويناضل
في سبيل لقمة العيش ، ويدخر من
طعام الصيف قوت الشتاء ، والله
في خلقه شئون .

وانه ليسر كل مسلم أن تهتم يد
الإصلاح بتنظيم الطرق الصوفية وأن
توجههم الوجهة اللائقة التي ترفع من
مركز التصوف ، وتجعله ينمض بالثقافة
ويرتقى بالوعي والعلم ليعود إليه بحمد
الأول .. وطلاب التصوف جميعاً
لديهم الاستعداد الكافي وسبقاوت
نصائح السادة الموجهين بالشكران
والرضا والقبول ، لأن فيها نفعاً عاماً
يعود عليهم بالسود والرفعة
والاحترام ..

فال هؤلاء هؤلاء أذن عظيم
التحيات وبالغ التشكرات ؟

محمد علي الطاعني

واعظ مركز نجح حمادي